و ماسواها (236)

الحكام العرب والتمسك بالكرسي!!

د. صادق السامرائي- الطب النفساني، العراق / أمريكا

sadiqalsamarrai@gmail.com

التشبث بكرسي الحكم عاهة سلوكية عربية , لا مثيل لها إلا فيما قل وندر في المجتمعات الغائرة بالتخلف والإنحطاط , والتي تفوقت بعض دولنا على العديد منها .

فالحاكم العربي يتمسك بالسلطة ولا يمكنه أن يتصور نفسه خارج تابوت الكرسي , مما يجعله ينتهي إلى مصير مشين ومذل.

والصورة تتضح في بعض الدول أكثر من غيرها , ففي العراق إنظلقت هذه المتوالية الدامية منذ إبادة الحكم الملكي عن بكرة أبيه , وتواصلت بعنفوان رهيب , ومآل عجيب.

وفي ليبيا حصل الذي حصل وإنتهى قائدها في مأساة , وما جرى لحاكم اليمن بعد عقود من الإستبداد , وكيف خرب البلاد ودمر العباد وتمرغ بنهايته , وقبلها مصر التي ما تزحزح عن كرسي الحكم فيها الرئيس إلا بعد فوات الأوان , وفي سوريا المشهد واضح للعيان , وفي تونس القصة كُتِبَتْ وألهمت , والجزائر تغلي , وأخيرا ما إنتهى إليه الكرسي في السودان والبقية ستأتي وقد آن الأوان واشتدَ الغضب.

ترى لماذا يتشبث الحاكم العربي بالكرسي؟

أولا: فوق الدستور والقانون

ربما ينفرد الحاكم العربي بهذه الصفة فهو الدستور والقانون بل فوقهما , وفي عرفه أن القانون عبارة عن كلمات يمكنه أن يكتبها أو يمحوها أنى يشاء ويرغب , وهذه المتعة التحكمية والقبضة اللذائذية المهيمنة على ما فيه من المطمورات , تدفعه إلى إحكام قبضته على الكرسي والإمعان الشرس للإقامة فيه رغم كل التحديات , لأنه يربط مصيره بالكرسي , الذي يتساوى مع حياته , وروحه , فلا معنى لوجوده دون الكرسي.

ثانيا: الإمتيازات المطلقة

الحاكم العربي يعيش في فضاءات المطلق ولا يمكنه أن يقارن نفسه بأحدٍ سواه , وبما أنه في كينونة مطلقة فأنه سيعبّر عن المطلق في كل شيئ , وسلوكه سيدلل على ذلك ويبرهنه بالفعل الملموس والمتكرر

التشبث بكرسي الحكم عاهة سلوكية عربية , لا مثيل لها إلا فيما قل وندر في المجتمعات الغائرة بالتخلف والإنحطاط , والتي تفوقت بعض دولنا على العديد منها

في ليبيا حصل الذي حصل وإنتهى قائدها في مأساة , وما جرى لحاكم اليمن بعد عقود من الإستبداد , وكيف خرب البلاد ودمر العباد وتمرغ بنهايته , وقبلها مصر التي ما تزحزح عن كرسي الحكم فيها الرئيس إلا بعد فوات الأوان

في سوريا المشهد واضح للعيان , وفي تونس القصة كُتِبَتْ وألهمت , والجزائر تغلي , وأخيرا ما إنتهى إليه الكرسي في السودان والبقية ستأتي وقد آن الأوان واشتدَ الغضب.

ينفرد الحاكم العربي بهذه الصفة فهو الدستور والقانون بل فوقهما , وفي عرفه أن القانون عبارة عن كلمات يمكنه أن يكتبها أو يمحوها أنى

, لكي يتحسس إرادته المطلقة ويده التي لا يمنعها أي شيئ من الوصول إلى ماتريد , أي أنه يعيش في حالة إنفلات رغبوي يسوّغ له ما لا يجوز لغيره , ومما يساهم في ذلك المراسيم والبروتوكولات اليومية للحاكم التي توهمه بأنه هو ولا غيره أحد.

يشاء ويرغب

الحاكم العربي يعيش في فضاءات المطلق ولا يمكنه أن يقارن نفسه بأحدٍ سواه

ثالثا: التحرر من الرقابة والمحاسبة

الرئاسة أو السلطة مسؤولية محكومة بضوابط وقوانين وتخضع للرقابة والمحاسبة , لأنها أمانة وتفويض للحفاظ على حقوق الوطن والمواطنين , لكنها في العرف العربي , أن الحاكم هو الذي يُحاسب فهو المنزه وكل ما عداه يكون مسؤولا أمامه وليس أمام القانون , فهو الذي عليه أن يراقب ويحاسب وفقا لمعايير رؤيته , وما تمليه عليه تصوراته للحكم وأجندات البقاء في الكرسي.

في العرف العربي , أن الحاكم هو الذي يُحاسب فهو المنزه وكل ما عداه يكون مسؤولا أمامه وليس أمام القانون

رابعا: وَهمُ العظمة

هذا الوهم الفاعل في الكرسي يغذيه المدّاحون والمتملقون ووعاظ الكراسي من المدعين بالدين , والمنتفعون من الحاكم الذي يهبهم مما لا يملك , فهناك نزعة غريبة عند الناس المحكومين , فكلما زاد حرمانهم وإستعبادهم تنامت آليات تعظيمهم للحاكم , وكأنهم يسقطون عليه ما فيهم من الاحلام الفنتازية والتصورات الرغبوية النابعة من شدة القهر والحرمان , ولهذا يتشامخ عليهم الحكام , ولا يشعرون بمرارة ما يعانونه ويتضورون منه.

وَهمُ العظمة

هذا الوهم الفاعل في الكرسي يغذيه المدّاحون والمتملقون ووعاظ الكراسي من المدعين بالدين , والمنتفعون من الحاكم الذي يهبهم مما لا يملك

خامسا: ضيق الأفق

الحاكم العربي عموما يتميز بضيق الأفق وعدم الإطلاع على ما يحصل في الدنيا من تطورات ومستجدات على جميع الأصعدة , فهو منغمس بالتبعية والإستهلاكية والإستقواء بالآخرين , ولا تجد عنده همة العمل والثقة بالوطن والشعب , وإنما يعتاش على الآخرين , ووفقا لهذا المنظور فأن ما يقوم به من نشاطات محدودة تبدو في وسائل إعلامه على أنها عظيمة , وما هي إلا ضحك على الذقون وخداع للشعب المسكين المبتلى بالغارقين في كرسي مشؤوم.

هناك نزعة غريبة عند الناس المحكومين , فكلما زاد حرمانهم وإستعبادهم تنامت آليات تعظيمهم للحاكم

الحاكم العربي عموما يتميز بضيق الأفق وعدم الإطلاع على ما يحصل في الدنيا من تطورات ومستجدات على جميع الأصعدة

سادسا: الحاشية

هي الحلقة التي تحوم حول الكرسي , وما يهمها مصالحها ومنافعها بأنواعها , ولهذا فأنها ذات أساليب خداعية وتضليلية تغذي الحاكم بما يعزز منافعها وتبعد عن وعيه ما يتعارض معها , والعجيب في الأمر أن معظم الحكام العرب يتوهمون المعرفة ولا يستشيرون ذوي الكفاءة والخبرة , وإنما يريدون الجهلة والمخادعين الذين يصفقون لكل عبارة يقولونها , ويوهمونهم بأنهم لا ينطقون عن الهوى , وأن كل ما يقولونه يجب أن يكون مشاريع للعمل ومنطلقات للقوة والرقاء.

الحاشية

هي الحلقة التي تحوم حول الكرسي , وما يهمها مصالحها ومنافعها بأنواعها , ولهذا فأنها ذات أساليب خداعية وتضليلية تغذي الحاكم بما يعزز منافعها وتبعد عن وعيه ما يتعارض معها

سابعا: الشعب

الشعب يساهم بقوة في إدامة الحاكم في السلطة , وذلك بإستكانته وإستلطافه للصعاب , والإرتهان بالحاجات والتلذذ بالمكابدات الأليمة , وفي عرفه إنها تعبّد له طريق الوصول إلى جنات النعيم , والسعادة الأبدية , فالدنيا دار شقاء وعناء وبلاء , ولا يمكنها أن تكون غير ذلك.

الشعب يساهم بقوة في إدامة الحاكم في السلطة , وذلك بإستكانته وإستلطافه للصعاب ,

ومن الظواهر التي يصعب تفسيرها أن الشعب قد يستكين للحاكم لعقود وكأنه في سبات , حتى تأتيه

اليقظة فيستفيق بغتة من نومة العدم والضياع والألم.

ثامنا: المصالح

أعمار الحكام العرب تتناسب طرديا مع قدرتهم على إدامة المصالح الإقليمية والعالمية , وكلما كانوا أوفياء ومنفذين ماهرين لها طالت أعمارهم التسلطية , وحالما تنتهي المهمة يتساقطون وينسفون من مواقعهم , التي تألهوا فيها وتضخموا حتى أصابهم الغرور القاتل , والنرجسية النكراء , وإذا بهم يتهالكون كالعصف المأكول , وهم في ذهول.

تاسعا: الغيبية

هذا التصور يملي على الحاكم كأنه موجود بإرادة ربانية , وربما يعتقد بأنه الذي يعمل على تطبيق شريعة الرب , وأنه المصطفى لتنفيذ مهمات السماء , فتراه يقدم على الفتك بالآخر ويحسب ذلك غضب الله على الضحية , التي لا مناص من تنفيذه وإحلاله بها , لكي يتوافق مع إرادة ربه الذي لا يعرفه حقا.

عاشرا: التملكية

التيقن بأن الوطن بما فيه وعليه ملك صرف للحاكم يبدو واضحا في سلوكه وخطاباته , وكيف ينظر للناس من حوله , فهو المالك وبيده مصير البلاد والعباد , وعليهم أن ينفذوا ويترجموا منطق " السمع والطاعة" , وإلا فأن الذي لا يتبع ولا يخنع يكون ضد الوطن ومن الخونة والمتآمرين.

حادي عشر: الأمية

والمقصود بها الأمية السياسية والسلوكية والفكرية , وعدم القدرة على إستيعاب ما يتصوره الآخرون ويرونه ويترجمونه في أجنداتهم التفاعلية مع الدول , وهذه الأمية توهم الحاكم بأنه يدري ومتمكن , وأن ما يدور من حوله لا يستحق الإهتمام , فهو فوق الجميع , لأن الأمية تدفعه إلى تصور المعرفة المطلقة , فيتلذذ بها ويتمسك بما يعززها وهو الكرسي.

ثاني عشر: إنتفاء قيمة الإنسان

الواقع العربي بدلائله وأوضاعه العامة يبرهن على أن الإنسان بلا قيمة وهو رقم وحسب , ولهذا فأن الحاكم لا يعير أي إهتمام لما يتصل بالمواطن , فهو رقم يمكنه محقه وجمعه وطرحه وضربه ببعضه , ولا يعنية ما يريد أو يطالب به , فعليه أن يستسلم ويرضى ويحمد ربه ويتوسل للكرسي , لكي يمنّ عليه ببعض حقوق إنسان أو حيوان , وهذا السلوك من قبل المواطنين هو الذي يغذي نزعة الإستبداد والإستعباد عند الحاكم , ويدفعه للتمادي بالإستحواذ على كل شيئ والإقامة الأبدية في الحكم.

ثالث عشر: القوة المزعومة

الحاكم العربي يصاب بعاهة إمتلاك القوة المطلقة , وأنه المهاب المطاع ولا يمكن لأحد مهما تصور أن يقترب من عرشه العظيم , فأجهزته القمعية بالمرصاد لأي مناوئ ومتطلع إلى لمس قوائم الكرسي العتيد , فتجده يمعن بالظلم وبناء المعتقلات والسجون , التي يذيق فيها الناس صنوف العذاب الشنيع , وبهذاه الأساليب يرى أن كل شيئ في قبضته المطلقة , ويغفل أن القبضة لا تدوم , فيقبض عليه الذين

والإرتهان بالحاجات والتلذذ بالمكابدات الأليمة

من الظواهر التي يصعب تفسيرها أن الشعب قد يستكين للحاكم لعقود وكأنه في سبات , حتى تأتيه اليقظة فيستفيق بغتة من نومة العدم والضياع والألم

أعمار الحكام العرب تتناسب طرديا مع قدرتهم على إدامة المصالح الإقليمية والعالمية , وكلما كانوا أوفياء ومنفذين ماهرين لها طالت أعمارهم التسلطية

الغيبية
هذا التصور يملي على الحاكم كأنه موجود بإرادة ربانية , وربما يعتقد بأنه الذي يعمل على تطبيق شريعة الرب

التملكية
التيقن بأن الوطن بما فيه وعليه ملك صرف للحاكم يبدو واضحا في سلوكه وخطاباته , وكيف ينظر للناس من حوله , فهو المالك وبيده مصير البلاد والعباد

الأمية توهم الحاكم بأنه يدري ومتمكن , وأن ما يدور من حوله لا يستحق الإهتمام , فهو فوق الجميع ,

الواقع العربي بدلائله وأوضاعه العامة يبرهن على أن الإنسان بلا قيمة وهو رقم وحسب , ولهذا فأن الحاكم لا يعير أي إهتمام لما يتصل بالمواطن

كان قابضا عليهم.

رابع عشر:الإنقطاعية

الحكام العرب منقطعون عن الواقع اليومي للمواطنين ويعيشون في صوامعهم , وتحت منظومة المراسيم والضوابط الرئاسية , التي تحركهم وكأنهم آلهة متعالون عن الناس , فيرونهم كما يتصورونهم أو كما يصورنهم لهم , فتراهم يتكلمون بلغة وكأنهم يخاطبون مخلوقات في عوالم أخرى , وهذه الإنقطاعية تمنعهم من التفاعل الحقيقي مع الواقع الجماهيري , وتمنحهم الزهو والخيلاء الذي سيطيح بهم عندما تصطدم رؤوسهم بصخرة الواقع المقيم.

خامس عشر: الإنجازية

قيمة الحاكم بما ينجزه ويقدمه لشعبه ووطنه , وهذه قاعدة معمول بها في الشعوب كافة إلا الشعب العربي , فأنه لا يأبه لهذا الموضوع ويكون الحاكم عنده عبارة عن موجود لتغذية عواطفه , والتعبير عما فيه من المكبوتات وبالكلمات وحسب , لأنه ميال لإتباع القول وإعتباره هو الإنجاز , فالقول عنده أصدق من العمل الواضح المبين , ولهذا ترى الحاكم يمعن بخطاباته الفارغة وشعاراته الوهمية , والناس تحتفي به وتنتمي إليه وتريده وتفديه بالروح وبالدم , وتسعى لتأبيده في الكرسي , وهو يصدّق ذلك ويعمل على تحقيقه , حتى تتساقط الأقنعة وتتكشف الأستار.

سادس عشر: التبلدية

العلاقة القائمة ما بين المقربين للحاكم والحاكم تصيبه بتبلد الأحاسيس والمشاعر , فيفقد قدرات التفاعل مع ما يجيش في دنيا الناس , ويزداد بلاهة وتبلدا مع الأيام حتى لتجده يتكلم وكأنه من أصحاب الكهف الذين ناموا عدة سنين وإستيقظوا , فيبعث بخطاباته إلى الشعب وكأنه الغريب عنهم والبعيد عن معاناتهم وما يشعرون , والمشكلة أنه يؤمن بأنه على حق وأنه يعمل على تخقيق أمانيه التي هي أماني الشعب بالقطع والأمر.

سابع عشر: الدوغماتية

الحاكم العربي يرى أنه يمتلك الحقيقة المطلقة , ولا يمكن لأحد أن يعترض عليه أو يناقشه , والناس من حوله أما معه أو ضده , وبهذا يضع نفسه في محنة خداعية وتضليلية تقضي عليه آجلا أم عاجلا , لأن الناس لا تريد أن تخوض معركة خاسرة , ولهذا تجدها تبدو على أنها مع الحاكم وهي في حقيقتها ضده , وهذا ما تحقق في بعض الدول وبانت تداعياته وكأنه القنبلة الموقوتة والكمين الأمين.

ثامن عشر: التألهية

الحاكم العربي يتأله ويتصور بأنه إله , بمعنى أن قوله هو القول السديد , وهو المعصوم من الخطأ , وهو الذي جاء من عالم بعيد , وكأنه يريد القول بأنه يحكم بتفويض إلهي أو أن أمه أو أبوه من الآله , أو أنه نصف إله , وهذه المشاعر والأحاسيس متوارثة عبر العصور الغابرة , التي كانت أنظمة الحكم فيها ذات آليات إلهية أو متصلة بالآلهة , ومعنى ذلك أن وجود الحاكم في الكرسي بأمر إله , وهو الذي جاء به وهو الذي سيأخذه بعيدا عن الكرسي عندما يشاء.

الحاكم العربي يصاب بعاهة إمتلاك القوة المطلقة , وأنه المصاب المطاع ولا يمكن لأحد مهما تصور أن يقترب من عرشه العظيم , فأجهزته القمعية بالمرصاد لأي مناوئ ومتطلع إلى لمس قوائم الكرسي العتيد

الحكام العرب منقطعون عن الواقع اليومي للمواطنين ويعيشون في صوامعهم , وتحت منظومة المراسيم والضوابط الرئاسية , التي تحركهم وكأنهم آلهة متعالون عن الناس

قيمة الحاكم بما ينجزه ويقدمه لشعبه ووطنه , وهذه قاعدة معمول بها في الشعوب كافة إلا الشعب العربي

العلاقة القائمة ما بين المقربين للحاكم والحاكم تصيبه بتبلد الأحاسيس والمشاعر , فيفقد قدرات التفاعل مع ما يجيش في دنيا الناس , ويزداد بلاهة وتبلدا مع الأيام حتى لتجده يتكلم وكأنه من أصحاب الكهف الذين ناموا عدة سنين وإستيقظوا

الحاكم العربي يرى أنه يمتلك الحقيقة المطلقة , ولا يمكن لأحد أن يعترض عليه أو يناقشه , والناس من حوله أما معه أو ضده , وبهذا يضع نفسه في محنة خداعية وتضليلية تقضي عليه آجلا أم عاجلا

الحاكم العربي يتأله ويتصور بأنه إله , بمعنى أن قوله هو القول السديد , وهو المعصوم من

أي أن وجوده في الكرسي قدَري!!

تاسع عشر: المديح

سلوك المديح عربي بإمتياز , فلا يوجد حاكم في الدنيا يتلقى مديحا مثل الحاكم العربي , وخصوصا من الشعراء والكتاب وأدعياء الدين , وغيرهم من رؤوساء العشائر والقبائل والرموز الأخرى , فالعرب تستشري فيهم عاهة المديح , لأنها كانت ومنذ العصور القديمة الوسيلة السهلة للفوز بالعطايا والحصول على المال من ذوي الجاه والسلطان.

وهذا المديح خدعة كبرى يتوهم بموجبها السلطان بأنه في حرز وأمان , وأن الشعب يحبه ويريده على الدوام.

عشرون: الكبرياء المرير

المشكلة العسيرة التي تنفرد بها الكراسي العربية هو تمدد الأنا الحاكمة وتماهيها بالوطن والشعب , فيحسب الحاكم أنه هو الوطن والشعب معا , وأي تعارض معه أو رفض له يعني عدوانا على الوطن والشعب , وتصبح صورته تمثل الوطن وتتفوق على أي رمز , ولهذا تكون صوره في كل مكان , ويفرضها على خارطة الوطن , فتصبح مجسمة بكينونته البدنية , ويتحول إلى مقياس أو معيار للوطنية والإخلاص والتفاني والتضحية , ومَن ينال منه ينال من الوطن والشعب ويُتّهَم بالخيانة العظمى.

وهناك المزيد من العوامل الأخرى الفاعلة في تنمية سلوك التوحد مع الكرسي والإدمان عليه , وتعزيز الغطرسة , وشدة الإلتصاق به , ويمكنها أن تكون بايولوجية أو مصحوبة بتغيرات عضوية في الأدمغة الكرسوية.

ويبقى إحترام الدستور والقانون والإنسان من ضرورات الحياة المعاصرة التي لا أولوية قبلها ولا سلطان.

فهل سنتجاوز مرحلة الخنوع والإذعان , وننطلق أحرارا في مملكة الإنسان؟!!

الخطأ , وهو الذي جاء من عالم بعيد , وكأنه يريد القول بأنه يحكم بتفويض إلهي أو أن أمه أو أبوه من الآلهة , أو أنه نصف إله

سلوك المديح عربي بإمتياز , فلا يوجد حاكم في الدنيا يتلقى مديحا مثل الحاكم العربي , وخصوصا من الشعراء والكتاب وأدعياء الدين , وغيرهم من رؤوساء العشائر والقبائل والرموز الأخرى

المشكلة العسيرة التي تنفرد بها الكراسي العربية هو تمدد الأنا الحاكمة وتماهيها بالوطن والشعب

يبقى إحترام الدستور والقانون والإنسان من ضرورات الحياة المعاصرة التي لا أولوية قبلها ولا سلطان.
فهل سنتجاوز مرحلة الخنوع والإذعان , وننطلق أحرارا في مملكة الإنسان؟!!

إرتباط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa236-150419.pdf

*** *** ***

مؤسسة العلوم النفسية العربية

مجلة " بصائر نفسانية"

مجلة المستجدات العربية في علوم وطب النفس

العدد 23-24

"التطرف و الإرهاب و الصحة النفسانية"

- المشرف على الملف: ماجد الياسري

رابط المجلة على المتجر

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=25&controller=category&id_lang=3